

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هدانا الله
وأولئك هم أولو الألباب

المعراج

يقول الحكيم من يشاء ومن يثبت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
ينكر إلا أولو الألباب

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صري و«مناراً» كمنار الطريق

(مصر في يوم الاحد ٢١ ذي الحجة سنة ١٣١٧ * ٢١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٠)

الدنيا والآخرة

(فمن الناس من يقول ربنا آتانا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق) ومنهم من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب

ذهب قوم الى ان الانسان في هذه الدنيا حيوان كشائر الحيوانات وان زعم بعض افراده انه ملك ارضي وانه افضل المخلوقات ما جاء الا من العجب والغرور وان كماله انما هو في التمتع بالذات الجسدية بقدر ما يستطيع ولا يحرم نفسه منها الا لجملة وغروره بل تطرف بعض اهل هذا المذهب الحيواني فقالوا ان الانسان اخس من غيره من الحيوانات وانقص في فطرته من كثير من الحشرات لانها خلقت مستقلة في شؤون معيشتها وخلق هو جاهلاً فاحتاج لتقليدها والاخذ عنها ولو لا استمداده للتقليد لما أمكن ان يعيش ويثبت والمقاد لا يكون الا أنقص من مقلده . قالوا لا يوجد حيوان يقلد الانسان فيستفيد بتقليده ما يقوم به أو دونه ويحفظ حياته والانسان قد قلد كثيراً من الحيوانات والحشرات فانه تعلم النسيج من

العنكبوت والهندسة من النحل وبناء البيوت من النمل الأبيض وتعلم قابيل ابن آدم من الغراب كيف يوارى سوءة أخيه

وذهب قوم الى ان الانسان ملك روحاني ولكن له لبس هذا الجسد الحيواني ليختبر الحالة الحيوانية ويعرف حقيقة العوالم الجسدية فنتسي أفرادهم عالمهم الاصيل وشغلهم هذا الشوب العارض عن حقيقتهم فيجب عليهم ان يجتهدوا في التخلص من عوائقه والفرار من دوائيه بحسب طاقتهم وان يخدموا الروح ويقووا سلطانه حتى يقطعوا هذه المرحلة الجسدية ويصلوا الى عالمهم الروحاني (الآخرة) غير منهوكة القوى وهناك يكونون ارواحاً تسبح مع الملائكة المقربين في عالم الملكوت الاعلى حيث لا لذات جسدية كالأكل والشرب وملامسة النساء أي ان عالم الوجود يخلو من هذا النوع الذي نسميه (الانسان) وتعلم منه اللذات المادية التي سموها بخرعهم نقائص بل يتخيل كثير منهم ان عالم المادة يتلاشى ويضمحل ولا يبقى الا عالم الارواح والروحانيات . ومن العجيب ان أكثر الناس يعظمون أهل هذا المذهب على اختلاف آرائهم ويعتقدون فيهم الكمال مع انهم في العمل اقرب الى المذهب الذي قبله والحق هو ما قصه عليك فيما يلي

اذا تتبعت أحوال بني آدم في عامة أوقاتهم واستخرجت مقاصدهم من جميع أعمالهم ترى أنها محصورة في تحصيل المنافع ودفع المضار وان شئت قل اجتناب المؤلم واجتلاب الملائم واذا سبغت أفكارهم ووقفت على مذاهبهم في المنافع التي يتهاقنون عليها والمضار التي يهربون منها ترى انه لا معنى للمنفعة عندهم الا اللذة ولا معنى للمضرة الا فقدتها واللذات منها الجسدية والمادي ومنها الروحي والعقلي والانسان نزاع بطبيعته الى كلتا اللذتين

ولكن اللذة الجسدية سابقة في الطبيعة وحياته الشخصية والنوعية متوقفة عليها فلا يستغنى عنها في وقت من الاوقات وللهذين السببين ترسخ فيه وتقوى فقلب على اختها التي تأتي بعدها لان بها تمام الانسان وكماله. والجزء المتمم المكمل لا يكون كذلك الا اذا كان قبله جزء يكون هو مكمل ومتما له. وكل ماهية من الماهيات المركبة التي تكمل بتمام ما تركبت منه لعدم بعدم أي جزء من أجزائها سواء كان الجزء المعلوم هو الاول في الوجود أو المرتبة او كان الثاني وما تعام بعده تنقص بنقصه وتصل الى كمالها باستيفائها ما هو مستعد له في اصل الشطرة التي فطر الله الناس عليها مع الاعتدال الذي هو ميزان الفضيلة والكمال

اذا علمت هذا ايها الناظر المدقق يتبين لك غلط الذين يزعمون ان اللذة الجسدية نقيصة في الانسان وطلبها ولو مع الاعتدال مذموم عقلا او شرعا كأن هؤلاء الناس غفلوا عن أنفسهم فجهلوا أن الانسان مركب من جسد وروح وان تركه لدواعي الجسد وما يحفظ وجوده ويصل به الى كماله هو كتركه لدواعي الروح العاقل وما يصل به الى كماله كلاهما خروج بهذا النوع عن نوعيته وهو محال لا يطلبه الا جاهل. ولو أمكن الانسان ان يستغنى عن اللذات الجسدية ويبش بدونها مستغنيا باللذات الروحية مستغرقا في المعارف العقلية لكان ما كمالا ولم يكن انسانا ولو حبس نفسه على اللذات الجسدية ولم يعبأ بما يطلبه به روحه وعقله من تحصيل اللذات المعنوية لم يخط من أفق الانسانية الى ارض الحيوانية وكان كالبهائم السائمة والدواب الراعية فالخلق الذي لا مزية فيه ان الانسان لا يكون انسانا على وجه الكمال الا اذا استوفى لذتي الروح والجسد جميعا مع الوقوف عند حدود الاعتدال.

هو هكذا في الدنيا وسيكون كذلك في الآخرة لأن الآخرة ليست عالماً يحى فيه عالم المادة من لوح الوجود ويخرج به الإنسان عن كونه إنساناً وإنما هو عالم يكون الإنسان به في أعلى أوج السكالم فيستوفي جميع اللذات الروحية والجسدية من غير عناء ولا شقاء ولا جهاد ولا بلاء أو يحجب به عن المذتين كلتيهما

بهذا جاء الدين الاسلامي فكان حكماً عدلاً بين الناس ملين وفلاسفة وحكماء هذا تراح له النفس المعتدلة ويرضى به العقل السليم اذا كان يؤمن بالغيب الممكن الذي يخبر به من ثبت صدقه بالآيات البينات . نعم ان العقل الجوّال لا يرضيه الاخذ بالاجال . فيطالب بالتفصيل . ويسأل عن البرهان والدلائل . وقد تكفل له الاسلام بكل هذا فانه لم يكن أحداً بان يأخذ به تقليداً بل نعى على التقليدين . وقال (هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين)

ليس من غرضنا ان نبين في هذه المقالة وما بعدها ما قصه علينا الدين من أحوال الآخرة وبيان انه ممكن منطبق على ما يليق بعدل الله تعالى وفضله وإنما افترض بيان ما أرشد اليه من السكالم الانساني في الدنيا والآخرة وكيف جمع بين مصالح الدارين وألف بين مطالب الروح والجسد فوافقت الشريعة نظام الطبيعة لأن كلا منه جل وعز ولا يصح في العقل ان الحكم العدل يخلق الخليفة بنظام محكم ثم ينزل شريعة تخل بذلك النظام (وقد أوضحنا هذا من قبل في مقالة عنوانها « الشريعة والطبيعة والحق والباطل » فليرجع اليها من أراد) وسنبين فيما يأتي وجه الجمع بين الأمرين ونشرح معنى الزهد والقناعة على الوجه الذي ينطبق على قاعدتنا فالتغافل ما يفتح الله به في الاجزاء التالية